كبر وأصبح مناضلا وقائدا ـــ هذه الصورة . لقد حددت له منذ طفولته انتماءه الى شعب معذب ومظلوم . أبوه لم يلق عليه تعليمات في الوطنية وحب الجهاد ، وقد كان في غنى عن ذلك . عائلته كلها ، قريته كلها ، فلسطين كلها ، كانت تغلي حقدا على الصهيونية والانكليز ، فكان « ابو يوسف » ابن القرية المناضلة نتاجا طبيعيا لبيئته ، ومثلا من الاف الامثلة التي عاشها حقا أبناء جيله .

الا ان « أبا يوسف » لم ينس صورة الجنود الانكليز منتشرين في « يبنى » ، ولم ينقطع عن النضال ، واعني بالنضال هنا ، النضال الشامل فكرا وروحا وعملا ، والنضال الخاضع بطبيعة الحال الى الظروف المحيطة به والامكانيات المطروحة امامه .

عاش محمد النجار مع ذويه في معسكر للاجئين في رفح منذ عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٥٦ . وهناك لم يعش آلام شعبه وأحزانها فحسب ، كان هو جزءا من تلك الآلام والاحزان . والانسانية العظيمة التي تحلى بها «أبو يوسف» لم تجعله يحمل من ذكريات حياته في المخيم مجرد صور الحقد والمرارة ، وبالتالي ، لم تجعله يصنف الذين عاشوا في المخيمات درجة فوق الذين لم يعيشوا فيها . ولم يكن يفاخر أصلا بتلك المرحلة من حياته كما يفعل الاخرون او بعضهم ، وكأنهم في حياتهم تلك ، وفي صبرهم عليها مكرهين، قد أدوا قسطهم الى العلا ، ودفعوا ضريبة النضال كاملة .

ان هذا النوع والاسلوب في التفكير بعيد كل البعد عن طبيعة « ابي يوسف » . هو من النوع الذي لا تؤثر عليه تصنيفات الناس الاجتماعية والطبقية. ومعتقداته الوطنية لا تفرق بين فلسطيني وفلسطيني الا بالنضال .

عندما كان شابا في فلسطين ، كان يتقد وطنية وحماسا وشبابا ، ولم يضره للحظة ، ولم يفكر للحظة بنقص في نفسه لكونه لا ينتمي الى العائلات ذات الوجاهة ، والتي كانت مسيطرة على مقاليد القيادة السياسية يومذاك .

وعندما أصبح معلما ولاجئا في معسكر للاجئين ، وعندما أصبحت المسألة معكوسة ، وأصبح الانتماء الفلسطيني الى المخيم هو الانتماء المشرف والمفضل ، وأصبحت « العائلية » ذكرى من ذكريات التاريخ القريب ، لم يشعر للحظة بالفخر والاستعلاء على الآخرين . ان قيمة الانسان الحقيقية برأيه هي في اعماله ، وما العائلية والظروف الاجتماعية مثلا ، فليست مجالا لا للشعور بالنقص ، ولا للمباهاة .

وتزوج محمد النجار في غزة ، وانجب في حياته ستة ابناء ، وقد تحدث عنهم جميعا بحنان ابوي كبير ، الا ان سعادته الكبرى كانت عندما تحدث عن ابنته الكبرى «حكمت»، وقد أصبحت تلميذة جامعية .

ولم تكن غزة هي المسرح الاول لحياته السياسية ، فهو لما كان في السادسة عشرة ، كان سكرتيرا لمنظمة النجادة ، كما كان سكرتيرا لنادي الاتحاد في قريته « يبنى » .

وفي عام ١٩٥١ انتمى الى « الاخوان المسلمين » ، وبقي معهم لغاية عام ١٩٥٨ ، وقد كان مسؤولا في قطاع غزة .

اعتقل « ابو يوسف » لاول مرة ولمدة أربعة أشهر في عام ١٩٥٤ في غزة ، وكان السبب انه طالب بالتجنيد الاجباري في احدى المظاهرات . وبقي في غزة حتى العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، اذ اضطر الى الخروج من القطاع على الرغم منه ، فقد منع من العمل ، فاضطر الى السفر بواسطة مركب شراعي . وصل الى عمان وبقي فيها بضعة أشهر ، ثم انتقل الى الخليج العربي ، حيث عمل استاذا في وزارة المعارف في قطر طوال عشر سنوات متواصلة ، من عام ١٩٥٧ ـــ ١٩٦٧ .